مدوّنة تعنى بنشر الكتابات التخصصية لتراث الحوزة العلمية الشريفة

فقه الشعائر الحسينية

البكاء وتجدد الأحزان

بقلم

سماحة السيد محمود الموسوي

معنى البكاء

قال ابن منظور في معنى البكاء: "البُكَاء يقصر ويمد؛ قاله الفراء وغيره، إذا مَدَدْتَ أَردتَ الصوتَ الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصرت أَردتَ الدموع وخروجها"، وقال: " قد بَكَى يَبْكِي بُكَاءً وبُكىً؛ قال الخليل: من قصره ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مدّة ذهب به إلى معنى الصوت".

إن البكاء حالة نفسية فطرية معروفة في البشر، وقيل أنها يمكن أن تكون نابعة عن الحزن أو الفرح، ولكن المنسبق إلى الذهن في بداية إطلاق لفظ البكاء، هو الأثر الحاصل بسبب حالة الحزن التي يشعر بها الإنسان، فيترشّح عن ذلك انهمال الدموع من العين أو الصوت المعبّر عنه بالنحيب، وهو ما نحن بصدد دراسته.

والبكاء حزناً يمكنه أن يتعلّق بعدة مواضيع، فقد يكون لألم شديد أصاب الإنسان، أو مرض وإعياء أرهقه، أو لخسارة مال في تجارة أو ضياع حق وملك كان له، أو لفقد عزيز على قلبه، أو لحال وواقع جارٍ على مكان أو على أمّة في ارتكاسها أو مظلوميتها أو حرمانها، وما شابه ذلك، فمن المعهود إنسانياً أن يتأثر الإنسان لمثل تلك الأسباب فيعبّر عن حزنه من خلال بكائه.

وقد أفتى الفقهاء بجواز البكاء على الميت، وقد ذكر السيد اليزدي في العروة الوثقى ما نصّه: "يجوز البكاء على الميت ولو كان مع الصوت، بل قد يكون راجحاً، كما إذا كان مسكناً للحزن وحرقة القلب بشرط[1]، أن لا يكون منافياً للرضاً بقضاء الله تعالى، ولا فرق بين الرحم وغيره، بل قد مر

[1] - تعليق السيد الخميني في العروة" إن كان شرطا للجواز كما يظهر من ذيل كلامه فمحل إشكال، بل منع، نعم الرضا بقضاء الله من أشرف صفات المؤمنين بالله وعدم الرضا بقضائه من نقص الإيمان بل العقل، وأما الحرمة فغير ثابتة، نعم يحرم القول المسخط للرب"، العروة الوثقى، فصل في مكروهات الدفن، مسألة ١.

استحباب البكاء على المؤمن، بل يستفاد من بعض الأخبار جواز البكاء على الأليف الضال. والخبر الذي ينقل من أن الميت يعذب ببكاء أهله ضعيف مناف لقوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى"[٢].

البكاء على مصاب الإمام الحسين (ع) كشعيرة:

ضمن مفردات ومصاديق الشعائر الحسينية يأتي البكاء على مصاب سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) وما جرى عليه وعلى أهل بيته في واقعة الطف من التجويع والتقتيل والتشريد وسائر الظلامات، في أول قائمة تلك الشعائر، ولم يختلف فقهاء الإمامية في مشروعيّة البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام)، بل وفي كونه مندوباً ندباً مؤكداً، وعدِّه من مصاديق الشّعائر الحسينية التي ينبغي للمؤمن أن يُقيمها في واقعه، وقد ارتبط مُصاب الإمام الحسين (عليه السلام) بعنوان البكاء والعَبرة النازلة من العيون تأثراً بما جرى عليه، حتى جاء في الحديث على لسان الإمام الحسين (عليه السلام): قوله: **(أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ قُتِلْتُ مَكْرُوباً)**[٣]، وقوله (عليه السلام): **(أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا اسْتَعْبَرَ)**[٤]، وما ورد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يناديه: **(يَا عَبْرَةَ كُلِّ مُؤْمِن)**[٥]. وعَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصادق (عليه السلام) قَالَ: **(كُنَّا عِنْدَهُ فَذَكَرْنَا الْحُسَيْنَ** (عليه السلام) **وَعَلَى قَاتِلِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ** (عليه السلام) **وَبَكَيْنَا، قَالَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: قَالَ الْحُسَيْنُ** (عليه السلام)**: أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى)**[٦].

---

[٢] - العروة الوثقى، فصل مكروهات الدفن، مسألة١.
[٣] - وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٢٢.
[٤] - كامل الزيارات، ص١٠٨.
[٥] - كامل الزيارات، ص١٠٨.
[٦] - كامل الزيارات، ص١٠٩.

الأدلة الشرعية:

الأدلة الشرعية التي اعتمدها الفقهاء في إثبات مشروعية البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام)، بل والرجحان الشرعي الذي يجعله موصوفاً بالاستحباب، بل والتأكيد عليه، وعدّه من مصاديق الشعائر الحسينية المطلوبة شرعاً من المؤمنين، كي يحيون من خلال ممارستها أمر أهل البيت (عليه السلام) في واقعهم، في كل زمان ومكان، وعلى الأخص في يوم عاشوراء من شهر محرم الحرام من كل عام، إن تلك الأدلة التي ساقوها لإثبات ذلك الحكم، هي أدلة روائية مباشرة، أخذ الحكم من مفادها النصّي ومفاد ظواهرها، ونذكر منها التالي:

١- ما يدل على استحباب البكاء على عموم أهل البيت المعصومين (عليه السلام): عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُنْذِرٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَقُولُ: **مَنْ قَطَرَتْ عَيْنَاهُ فِينَا قَطْرَةً وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فِينَا دَمْعَةً بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً يَسْكُنُهَا أَحْقَاباً وأَحْقَابا**[٧].

٢- ما يدل على استحباب البكاء على قتل الإمام الحسين (عليه السلام): عَنْ محمَّد بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: **كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَقُولُ: أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي(عليه السلام) دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ، بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً يَسْكُنُهَا أَحْقَاباً، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ فِينَا لِأَذًى مَسَّنَا مِنْ عَدُوِّنَا فِي الدُّنْيَا، بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذًى فِينَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ مِنْ مَضَاضَةِ مَا أُوذِيَ فِينَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَذَى وَآمَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِهِ وَ النَّارِ**[٨].

---

[٧] - كامل الزيارات، ص١٠١.

[٨] كامل الزيارات، ص١٠٠، ح١

٣- ما يدل على استحباب إنشاد الشعر من أجل البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام): عَنْ أَبِي هَارُونَ الْمَكْفُوفِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): **يَا أَبَا هَارُونَ أَنْشِدْنِي فِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام)**. قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ فَبَكَى، فَقَالَ: **أَنْشِدْنِي كَمَا تُنْشِدُونَ يَعْنِي بِالرَّقَّةِ.** قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ:

امْرُرْ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةِ

قَالَ: فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: **زِدْنِي**. قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ الْقَصِيدَةَ الْأُخْرَى، قَالَ: فَبَكَى وَسَمِعْتُ الْبُكَاءَ مِنْ خَلْفِ السِّتْرِ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ لِي: **يَا بَا هَارُونَ، مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ** (عليه السلام) **شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى عَشْراً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى خَمْسَةً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى وَاحِداً، كُتِبَتْ لَهُمَا الْجَنَّةُ وَمَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ (ع) عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ [عَيْنَيْهِ] مِنَ الدُّمُوعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ، كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ وَلَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ**[٩].

٤- وما يدل على استحباب البكاء والإبكاء على مصاب الإمام الحسين (عليه السلام): عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: **مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام) بَيْتَ شِعْرٍ فَبَكَى وَأَبْكَى عَشَرَةً فَلَهُ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بَيْتاً فَبَكَى وَأَبْكَى تِسْعَةً فَلَهُ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بَيْتاً فَبَكَى وَأَظُنُّهُ قَالَ أَوْ تَبَاكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ**[١٠].

بين المشروعية والرفض:

[٩] - كامل الزيارات، ص١٠٤، ح١
[١٠] - كامل الزيارات، ص١٠٥، ح٤

البكاء والحزن باعتباره العنوان الأبرز في إحياء الشعائر الحسينية، الذي تتفرع منه عدّة عناوين، وسِمته ظاهرة في المراسم الحسينية العاشورائية، بل طيلة أيام السنة، حيث يقيم شيعة أهل البيت (عليهم السلام) المآتم ويستذكرون فها المصائب التي جرت على أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، وعلى الإمام الحسين (عليه السلام) خصوصاً، قد أثارت تلك المظاهر عدّة جهات، وقد أبدوا رفضهم لهذه الحالة، معتبرين أنها لم تكن من الدين ولا تمتّ للشريعة بشيء، بل واستنكر بعضٌ أساس حالة الحزن والبكاء على أموات مضى على موتهم السنين بل القرون.

إن الصيغ التي سيقت للاعتراض على ممارسة البكاء كشعيرة حسينية دينية، عديدة، إلا أننا نحصرها في اتجاهين عامّين:

١- اتجاه ينتمي للإسلام عموماً وله مشتركات مع المسلمين الشيعة، وهو يستشهد بأدلة من السنّة حسب ما فهموها، وبما يفقده من دليل على شمول البكاء المتجدّد ومطلوبيته والتفرّغ له، إحياءً له.

٢- واتجاه آخر لا ينتمي للإسلام في نظم تفكيره، يدّعي استعمال العقل في إلقاء تعجباته.

وسوف نعرض الرؤية العامة لهما مع الردود التي يمكن أن توضح أصل فكرة البكاء واندراجها في سلسلة الشعائر الحسينية.

ادعاءات رافضة:

قال بعضهم أن البكاء على الموتى محرّم في الشريعة الإسلامية لما رواه البخاري عن عمر عن النبي (صلّى الله عليه وآله): (**إن الميّت ليعذّب ببكاء الحي عليه**)[١١]. وأن البكاء للمصيبة التي خطّها الله في لوح القدر والقضاء سخط من العبد على مولاه، وهو ذنب محبط للأجر ومسخط للرب، وأن الباكي تارك للصبر الجميل وهو مذموم شرعاً، وأن تجديد البكاء في كل عام وفي كل حين لا يقبله عقل ولم يدع له نقل.

إضافة إلى ذلك، ما ذكره بعض اللا دينيين من العلمانيين والحداثيين وأصحاب الديانات المختلفة، من أن عادات البكاء المنظّم والبكاء الجماعي ما هي إلا عادات مستوردة بغية التميّز والاستقلال عن سائر الفرق الإسلامية، وقالوا:

"كان البويهيون باعتناقهم التشيع الاثني عشري يحاولون أن يستقلوا عن الزيديين أولاً وأن يكون لهم عصبية من العراقيين تحميهم وتثبت ملكهم ... لهذا لم يكتفوا بإحياء المناسبات الشيعية وإنما زادوا ذلك مبالغة باختراع مراسيم جديدة للاحتفال بذكرى قتل الحسين ...ولم يعهدها الزيديون. وبدأت في سنة ٣٥٢ هـ/٩٦٣م مواكب العزاء في لونه الجديد الذي وردت نظائره في التاريخ القديم وخصوصاً في العراق وقد تطورت فيما بعد حتى اتخذت طابعاً مسرحياً في أيام الصفويين. إن مراسيم العزاء التي ظهرت أيام البويهيين كانت لها سابقة نهض بها أبو مسلم الخراساني. ويبدو أن هذا الحزن الجماعي لم يكن تقليداً عربياً خالصاً بقدر ما كان عرفاً عراقياً محلياً كامناً ينتظر أن تدبّ فيه الحياة من جديد بفعل الظروف المناسبة.

---

[١١] - صحيح البخاري، ج٢، ص٨١.

لقد كانت أقدم إشارة في التاريخ إلى الحزن الجماعي المنظّم فيما يبدو هي تلك التي ترد في ملحمة جلجامش التي يرجع زمنها (الى نهاية العهد المسمى في تاريخ حضارة وادي الرافدين باسم جمدة نصر (في حدود ٣٢٠٠ق م) والى اوائل العصر الحضاري المسمى بعصر فجر السلالات (في حدود بداية الالف الثالث ق.م)، وذلك في مخاطبة جلجامش للإلهة عشتار لما عرضت عليه الزواج: (من اجل تموز حبيب صباك قد قضيت بالبكاء سنة بعد سنة). وقد شرح الاستاذ طه باقر هذه الاشارة بقوله: (يشير هذا الى العادة القديمة الخاصة بالندب والبكاء على تموز إله الخضار والربيع حيث اعتقدوا فيه انه كان ينزل الى العالم الأسفل في كل خريف ويعود الى الحياة مع بشائر الربيع"[١٢].

الردود على الادعاءات:

نسوق مجموعة من النقاط للرد على تلك الادعاءات، نقضاً وحلاً بالأدلة والبراهين، ونبدأ بالرد على الادعاءات الصادرة من غير المسلمين عموماً، ثم نتدرّج بها إلى الردّ على المؤمنين بالإسلام ورسول الإسلام (صلّى الله عليه وآله)، وهي كالتالي:

١. "إن فقد الأحبة وموت الأعزة باعث بالجبلّة والفطرة للنفوس حسرة، وللعيون عَبرة، وللقلوب حرقة"[١٣]، تلك هي سنّة في سائر البشر لم يتخلف عنها قوم عن قوم، ولا زمان على زمان، فإن المطلع بأبسط إطلاع على تاريخ البشرية، يؤمن إيماناً لا شائبة فيه بهذه السنّة الجارية في البشر، وأن المنكر لها هو محل الإنكار والتعجّب.

---

[١٢] - تفسير العلمانيين لظاهرة البكاء على الحسين (ع) والرد عليه، السيد سامي البدري، عن ملحمة جلجامش، ترجمة الأستاذ طه باقر، ط٤/١١٠.

[١٣] - سيماء الصلحاء، ص١٧

٢. إن التذرّع بأن حالة الحزن الجماعي التحشيدي، هي عادة مأخوذة من شعوب ضاربة في القدم، يفتقر إلى القيمة الإقناعية فيه، إذ لا ملازمة بين انتقال فعل وسلوك من شعب إلى آخر، وبين تخطئته وسلبيته، فقد تأخذ الشعوب من بعضها ما يصلح شأنها وتفيد بها واقعها، كما نرى من دعوات معاصرة للاستفادة من الحضارات المتقدّمة، فلِمَ تكون تلك الدعوات محل تقدير وتحضرّ، وفي غيرها من الموضوعات محل نظر ورفض؟!

لم يكن البويهيون وأمثالهم من العجم مستوردين لحالة الحزن والكباء الجماعي، فإن تلك الحالة كانت سائدة في كافة الأمم، والأمة العربية التي نشأ فيها الإسلام الحنيف قبل زمن البويهيين، قد كانوا يجتمعون على البكاء، فقد "صح عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قوله يوم عوده من أحد إلى المدينة وسماعِه المناحة والبكاء من دور الأنصار على مستشهديهم ما هذا نصه: "لكن حمزة لا بواكي له"، فسمع أهل المدينة ذلك فجاءت نساؤهن إلى بيت فاطمة (عليها السلام) فأقمن مأتم حمزة عندها ولم يقم لهم بعد ذلك مأتم إلا ابتدأنه بحمزة"[١٤]. وقد نقل التاريخ العربي أن الصحابة يوم وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) اجتماعهم حوله يبكون[١٥]، ونقلوا أن عائشة جمعت النساء عندها للبكاء على أبيها[١٦]. وغير ذلك من الأحداث التي تثبت أن حالة البكاء الجماعي لم يأت بها البويهيون، وما كان من البويهيين إلا أنهم سمحوا للشيعة بممارسة شعائرهم التي كانوا يضمرونها خوفاً وتقية من السلطات الظالمة، وبفعل ما أتيح من مجال الحرية في زمانهم توسّعت الشعائر الجماعية، ووجدوا في تلك الفسحة خير تطبيق لما أرشدهم إليه الإمام الصادق (عليه السلام)، في

---

[١٤] - وسائل الشيعة/ ج٢، ص٩٢٤، الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص١٩٤.
[١٥] - السقيفة للمظفر، ص١١٩.
[١٦] - كنز العمال، ج١٥، ص٧٣١، المصنف الصنعاني، ج٣، ص٥٦٤.

قوله لِلْفُضَيْلِ: **تَجْلِسُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا فَأَحْيُوا أَمْرَنَا فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا**"[١٧].

٣. أما تجدّد المصاب في كل عام وكل حين، على بُعد المدى ونسيان الألم، وما قيل من أنه ليست من عادة الإنسان، وأنه لا يجدي نفعاً، إلا مزيداً من الانغماس في الكآبة، فإن الرد على هذا الادّعاء يعتمد على معرفة الإنسان أن تجدّد الشيء وتجديده ليست حالة سلبية ضارة في كل الأحوال، فكل شيء بحسبه، فهناك ما ينبغي تجديده من أجل مصالح ترتجى منه في كل حين، فقد تكون الفائدة المرجوة استذكار لعبرة، أو شكراً لنعمة، أو حياء لفكرة أو شخصية لها قيمة تستدعي التجديد والاستذكار، ولذلك فإن الشعوب قد عمدت إلى تجديد ما تراه مفيداً لواقعها، فتجدد أعياداً للحب والأم والبيئة والطفل والسجين والكتاب وغير ذلك، ومن ذلك المبدأ تقوم المسيحية في العالم بإحياء أيام معيّنة كميلاد المسيح، وعيد الفصح، وأسبوع الآلام، فيفرحون ويشكرون ويستذكرون القيامة، ويسترجعون الآلام، كل ذلك تحت راية المسيحية ومحوريّة المسيح. ولا يختلف الحزن والبكاء وتجديده عن هذا المبدأ العقلائي، فإن تجديد الحزن على مصاب الإمام الحسين (عليه السلام) هو تجديد لحالة التعاطف مع أعظم مصيبة في السماوات والأرض، لأعظم شخصيات التاريخ، وحامل راية الإصلاح لكافة الأمم، لتمتزج النفوس بالحادثة العظمى وتنهض بواقعها نحو قيمه التي

[١٧] - وسائل الشيعة، ج١٤، ص٥٠١.

تمثّل عمق قيم الإسلام، لذلك وغيره من القيم السامية، أصبحت المصيبة الراتبة المتجدّدة[١٨].

٤. إن البكاء لا يناقض الصبر، ولا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل هو حالة شعورية إنسانية تستظهر الألم وتستفظع المصاب وتواسي أهل المصيبة وتعبّر عن لوعة الفراق ووحشة الفقد، ولا تلازمٌ بين هذا وبين عدم الصبر، لأن فاقد الصبر المحمود يقوم بسلوك يتخطّى حدود المسموح به شرعاً وعقلاً، فإن كان البكاء مما ندب إليه الشرع فهو صبر على الطاعة وحبس النفس على مداومتها.

٥. العمدة في تحديد ما هو صحيح وما هو غير صحيح يرجع إلى تصحيح المعتقد كأساس، ومن بعده تتفرّع الأحكام الفقهية، لأن تحديد منابع الأحكام ومصادرها إنما يتمّ بعد الفراغ من المحدّدات العقائدية باعتماد الجهات التي يمكنها الإنباء عن الأحكام الإلهية دون أدنى خطأ. والبكاء كشعيرة حسينية شأن فقهي نابع من أصل الاعتقاد بالقرآن والعترة، وهما ضمانتا الهدى وعدم الضلال، فعند تحميل المقولة مضامين إسلامية، لابد أن تنبع من الأدلة الشرعية التي يعتمدها أهل هذا المذهب أو ذاك، في حدود ما يؤمن به من تأسيسات إيمانية بدليلية هذا الدليل أو ذاك.

---

[١٨] - هذا وفق السنن الجارية في البشر، ولا شك أن لمسألة تجدد الحزن على مصاب الإمام الحسين (ع) جوانب عديدة، وعظمة مصابه لها أفق عديدة، منها ما جاء في الرواية عن الإمام الصادق (ع) بأن عظمة مصيبة الإمام الحسين كانت أكبر لأنه كان البقية الباقية والسلوة للناس من أهل الكساء (ع)، ففقده كان عبارة عن فقد جميعهم. انظر علل الشرائع، ج١، ص٢٢٥.باب العلة التي من أجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة.

وبخصوص حالة البكاء على الأموات والاجتماع عليه، فإن النصوص الدينية متوفّرة عند الفريقين (شيعة وسنّة)، إلا أن الشيعة الإمامية تضافرت لديها الروايات باعتبار إيمانها بالأئمة الإثني عشر المعصومين (عليهم السلام) كمصدر روائي معتمد[١٩]، وأصبح البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) تحديداً شعيرة دينية، لها خصوصياتها في ضرورة الإحياء، وسعة الأثر، ووفرة الجزاء في الآخرة.

وهنا نسوق بعض الأدلة على البكاء بشكل عام، والبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل خاص، عند الفريقين.

البكاء عند أهل السنة:

١- "إن من جملة الأدلة الواضحة على شرعية البكاء على الميت، هو فعل النبي[٢٠] (صلّى الله عليه وآله)، فإنه بكى على ولده، وعلى بنته، وزيد، وجعفر، وحمزة، وعثمان بن مظعون، وابن رواحة، وسعد بن ربيع، وغيرهم[٢١].

حتى أنه كانت تسيل دمعته على خديه، ولمّا كان يسأل عن ذلك كان يقول: إنها رحمة. روى النسائي بسنده عن أسامة بن زيد، قال: أرسلت بنت النبي (ص) إليه أن إبناً لي قُبض. فأرسل

---

[١٩] - بحسب الحديث المشهور بين الفريقين: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً).

[٢٠] - وقد تقرر في علم أصول الفقه أن فعل النبي وقوله وتقريره حجة.

[٢١] - انظر سيماء الصلحاء.

يقرأ السلام ويقول: إن الله له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عند الله بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب.

فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الصبي ونفسه تقعقع، ففاضت عيناه.

فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟

قال: رحمة يجعلها في قلوب عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء[٢٢].

٢- "ومن جملة الأدلة على شرعية البكاء على الميت تحريضه (صلّى الله عليه وآله) على البكاء على الميت، وذلك أنه لمّا دخل المدينة بعد غزوة أحد رأى النساء يبكين على قتلاهن بكى وقال: وأمّا حمزة فلا بواكي له.

وهذه العبارة صريحة في أنه (صلّى الله عليه وآله) حرّض النساء على البكاء على حمزة وعلى جعفر بن أبي طالب حيث قال: على مثل جعفر فلتبك البواكي. فلو كان البكاء أمر غير مشروع لما حرض النبي على ذلك.

وإليك بعض ما ورد في هذا المجال:

[٢٢] - سنن النسائي، ج٤، ص٢٢، المصنف لابن أبي شيبة، ج٣، ص٢٦٦، الفصول المهمة، ص٩٣.

أ- روى أحمد في مسنده قال: رجع رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) من أحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) ولكن حمزة لا بواكي له، قال: ثم نام فانتبه وهن يبكين حمزة، قال: فهنّ اليوم إذا بكين يندبن حمزة[٢٣]...

ب- وقال ابن عبد البر في ترجمة حمزة نقلاً عن الواقدي: قال لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): لكن حمزة لا بواكي له، إلى اليوم، إلا بدأت بالبكاء على حمزة[٢٤].

ج- وفي شفاء الغرام: فجاء نساء بني عبد الأشهل لمّا سمعوا ذلك فبكين على عم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، ونحن على باب المسجد، فلمّا سمعهن خرجن إليهن، فقال: ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتّن بأنفسكنّ[٢٥].

د- وقال (صلَّى الله عليه وآله) حينما أراد أن يخرج من بيت جعفر بن أبي طالب، بعد أن عزّى أسماء بنت عميس: على مثل جعفر: فليبك البواكي[٢٦]"[٢٧].

٣- "وما يدلّ أيضاً على مشروعية البكاء على الميت وأنه لم يكن بدعة، عمل الصحابة في زمن الرسول وبعده من بكاء بعضهم بعضاً عند فقد أحدهم. فعليه إما أن نكذب كل ما جاء عنهم في المصادر الحديثية والتاريخية حول بكاء الصحابة بعضهم بعضاً، وأما أن نوبّخهم

---

[٢٣] - مسند أحمد، ج٢، ص٤٠.
[٢٤] - الإستيعاب بهامش الإصابة، ج١، ص٢٧٥، وعنه الفصول المهمة، ص٩٢.
[٢٥] - شفاء الغرام، ج٢، ص٣٤٧.
[٢٦] - أنساب الأشراف، ص٤٣.
[٢٧] - البكاء على البي وآله على ضوء السنّة والسيرة، الشيخ محمد جواد الطبسي، ص٢٠.

على عملهم هذا لكونه غير مشروع، وأما أن نلتزم بمشروعية البكاء على الميت من خلال عملهم هذا."[٢٨]

٣ - بكاء النبي (ص) على الحسين (ع).

لقد بكى النبي (صلّى الله عليه وآله) على الحسين مدّة حياته في المدينة المنوّرة مرات في أماكن عديدة، وخصوصاً بعد ما ولد الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد رواها أصحاب السنن وغيرهم في كتبهم، كالطبراني والهيثمي والخوارزمي والنيسابوري وأحمد وأبو ينعيم وابن عساكر وابن حجر وعبد الرزاق وأبو يعلي وغيرهم. وقد جمع العلاّمة الأميني أيضاً كل ذلك في (سيرتنا وسنّتنا) وهنا نكن كتفي بذكر موارد من ذلك:

أ- فمنها ما رواه المحب الطبري بسنده عن أسماء بن عميس قالت: عقّ رسول الله عن الحسن يوم سابعة بكبشين أملحين... فلما كان بعد حول ولد الحسين فجاء النبي (صلّى الله عليه وآله) ففعل مثل الأول، قالت وجعله في حجره، فبكى (صلّى الله عليه وآله)، قلت: فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟، فقال: ابني هذا يا أسماء إنه تقتله الفئة الباغية من أمتي لا أنالهم الله شفاعتي[٢٩]..

---

[٢٨] البكاء على النبي وآله، ٢٦، وراجع في بكاء بعض الصحابه، العقد الفريد، ج٣، ص١٩٥، والمصنف، ج٣، ص١٧٥، السيرة النبوية، ج٣، ص١٩٨،

[٢٩] - ذخائر العقبى، ص١١٩، مستدرك الحاكم، ج٣،١٧٦، تاريخ الخميس، ج١، ص٤١٨، ينابيع المودة، ص٢٢٠، وسيلة المآل، ص١٨٣.

ب- وروت أم الفضل بنت العباس أنها دخلت على رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) فقالت يا رسول الله: رأيت البارحة حلماً منكراً، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): خيراً رأيت، تلدُ فاطمة غلاماً فيكون في حجرك. فولدت فاطمة الحسين (عليه السلام). قال: فكان في حجري كما قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، فدخلت به عليه فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) تدمعان. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك تبكي؟

قال: أتاني جبرئيل فأخبرني إن أمتي ستقتل إبني هذا؟ أنا بتربة من تربته حمراً[٣٠]."[٣١]

ج- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ عَلَى مَطْهَرَةِ عَلِيٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيٍّ إِلَى صِفِّينَ، فَلَمَّا حَاذَانَا نَيْنَوَى، نَادَى: صَبْراً أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا قَوْلُكَ صَبْراً أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلَّى الله عليه وآله) وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لِعَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ دُمُوعاً؟ أَغَضَبَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: بَلْ قَامَ مِنْ عِنْدِي جَبْرَئِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ أُشِمَّكَ مِنْ تُرْبَتِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ، فَأَعْطَانِيهَا فَلَمْ تَمْلِكْ عَيْنَايَ أَنْ فَاضَتَا[٣٢].

---

[٣٠] - الفصول المهمة، ص١٥٤، ورواه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٧٦.

[٣١] - البكاء على النبي وآله، ص٧٠.

[٣٢] - كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ٥٨، ومسند أحمد ٨٥/١، الآحاد والمثاني ٣٠٨/١

د- المنتخب من مسند عبد بن حميد عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه قال: قالت: أم سلمة كان النبي صلّى الله عليه وسلم نائماً في بيتي فجاء حسين يدرج؛ قالت: فقعدت على الباب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه، قالت ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه قالت فسمعت نحيب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فجئت فقلت يا رسول الله، والله ما علمت به، فقال: إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي: أتحبه؟ فقلت: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، ألا أريك التربة التي يقتل بها، قال فقلت: بلى، قال فضرب بجناحه فأتاني بهذه التربة، قالت: فإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول يا ليت شعري من يقتلك بعدي[٣٣].

البكاء الجماعي في روايات أهل البيت (ع):

بعد أن تعرّضنا لنقض الإشكال الوارد حول البكاء الجماعي، ورفض الادعاء بأنه من إدخالات البويهيين أو الصفويين أو غيرهم من أجل مآرب سياسية أو دينية تخصهم، نذكر بعض الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) التي تثبت أن حالة البكاء الجماعي على الإمام الحسين (عليه السلام) كانت ضمن توجيهات أهل البيت (عليهم السلام) بالرغم من المعاناة التي كانوا يعيشونها، وقد كانت حالة اجتماع المؤمنين لإحياء شعيرة الحزن والبكاء وغيرها، من الآمال التي يتطلّع إليها أهل البيت (عليهم السلام)، وإليك بعض ما يستفاد منه في هذا السياق:

---

[٣٣] - المنتخب من مسند عبد الحميد، ج١،٣٨٤، ح١٥٣١.

١- عَنْ أَبِي هَارُونَ الْمَكْفُوفِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) فَقَالَ لِي أَنْشِدْنِي فَأَنْشَدْتُهُ فَقَالَ لَا كَمَا تُنْشِدُونَ وَكَمَا تَرْثِيهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَالَ فَأَنْشَدْتُهُ:

امْرُرْ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةِ

قَالَ فَلَمَّا بَكَى أَمْسَكْتُ أَنَا فَقَالَ مُرَّ فَمَرَرْتُ قَالَ ثُمَّ قَالَ زِدْنِي زِدْنِي قَالَ فَأَنْشَدْتُهُ:

يَا مَرْيَمُ قُومِي فَانْدُبِي مَوْلَاكِ وعَلَى الْحُسَيْنِ فَأَسْعِدِي بِبُكَاكِ

قَالَ فَبَكَى وَتَهَايَجَ النِّسَاءُ قَالَ: فَلَمَّا أَنْ سَكَتْنَ قَالَ لِي: يَا بَا هَارُونَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَأَبْكَى عَشَرَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ ثُمَّ جَعَلَ يَنْقُصُ وَاحِداً وَاحِداً حَتَّى بَلَغَ الْوَاحِدَ، فَقَالَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ فَأَبْكَى وَاحِداً فَلَهُ الْجَنَّةُ ثُمَّ قَالَ مَنْ ذَكَرَهُ فَبَكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ[٣٤].

٢- حَدَّثَنِي محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَسْكَرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ محمَّد بْنِ سِنَانٍ عَنْ محمَّد بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بَيْتَ شِعْرٍ فَبَكَى وَأَبْكَى عَشَرَةً فَلَهُ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بَيْتاً فَبَكَى وَأَبْكَى تِسْعَةً فَلَهُ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بَيْتاً فَبَكَى وَأَظُنُّهُ قَالَ أَوْ تَبَاكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ[٣٥].

---

[٣٤] - كامل الزيارات، ص ١٠٦، ح٥.
[٣٥] - كامل الزيارات، ص١٠٧، ح٧